عليه من معاملتهم مع اعراب صدرت اوامر ملكهم الكبير لهم بترك البلاد فبدل ان تطيع
المهتدة اوامر ملكهم حنثوا الى جباة الخراج واودعوهم السجن ثم قربوهم قربانا لالهتهم
وخلصوا من هذا الوقت من المصايب التي كانت نازلة عليهم وعلى ارضهم بدخول
قورطيس في بلادهم وكان اوقع الفزع الاكبر في جماعتهم وما بقي على ملكي المهتدة شي
سوى اتحادهم مع الاسبانيين امنوا في سعوم انفسهم واعترافهم لهم بانهم عبيد لملك
قسطيله وسار على منواله اهل طوطوناكيش امة متوحشة ساكنة في جبال قسم من
المملكة ودخلت هذه الامة باختيارها تحت طاعة ملك قسطيله واستعد المهتدة في الغزو
مع قورطيس بعدواهم الى مكسيكا وفي هذا الوقت صار لقورطيس ما ينوف عن ثلاثة شهور
في اسبانيا الجديدة ولو انه ما استشعر شي من الاستكشافات المارية في هذه المدة الا
انها صرفت في اشتغال واعمال مهمة وكان بعض عساكره في اتحاد مع فلاسكيز فقاموا عليه
في ثورة فما حدها واطفاها بيراعته وخابر اهل البلاد في اساسات اعمال بنجاح في
المستقبل الا انه مع ما كان عليه من الاعتبار في ارائه ونصيحاته التي صمم عليها فانه كان
مرتابا في حكومته ما حصل له من الغضب الذي ملا جسم فلاسكيز من جهته فمن ثم
اسرع في العرض والالتماس من ملك اسبانيا بكافة اعماله خشية من وقوع غضب يحصل
من الملك بكونه سببا في تجريده من منصبه العالي او بكونه سببا في وقوع عقاب شديد عليه
فمن قبل شروعه في سفره الى مدينة مكسيكا راى انه من الضروري له اخذه الاحترازات
القوية الفعالة ضد هذا الخطر الذي لا بد من وقوعه ولهذا حض نواب المستعمرة وكان
سماها مستعمرة ويرا كروز على تقديم التماس للملك بكونهم يقيمونه مستعمرة مستقلة
ينفصل من احكام فلاسكيز ولاجل تمام مرغوبهم قدحوا في التماسهم المعروض للملك
في الحملتين العنيفتين حصلت قبل تحت قيادة كل من دو قرطبه وبجير بالوه وابتنوا انه
صار اعدادها من طرف المهاجرين الذين دخلوا في هذه الاسفار من دون واسطة
حاكم قوبه وذكروا ان المقصد الاصلي الذي كان عليه فلاسكيز الحاكم هو التجارة فقط
والرخص مع اهل البلاد التي متوجه اليها هاتان الحملتان لا العزم في فتح اسبانيا
الجديدة ولا تشييد مستقرات فيها وذكروا ان قورطيس والذين مستخدمين معه من الضباط
صرفوا معظم المصاريف التي صار استعداد هذه العمارة بها ومن اجل ذلك يعرضوا للملك
مع غاية الخضوع والخشوع التصديق على ما صار اجراؤه على اسمه وتاييد قورطيس في حكومته
وقيادته العمومية واقراره بامر يصدر له من الملك وشرحوا ارسال ملك قسطيله شرحا يوصف
مطرب كي يغنم طلبهم وصف الاراضي التي كشفوها وغناها وثروة اهلها ويقر او
استكبارها وتوحشهم والتقدمات التي اجروها في صنم بعض الجهات والاقاليم الواقعة
على حد البحر لتاج قسطيله وذكروا له المشروعات المزمعين على اجرائها والاعمال الموجودة
عندهم في اخضاع عموم المملكة لملك قسطيله وكتب قورطيس ايضا قرارا بمثل هذا وبما انه
كان على دراية تامة من ان الديوان الاسباني منعقود على حضور اوصاف كل بلد جديد
من مستكشفيه فلاجل التصديق على الاوصاف التي ذكرت في شان اسبانيا الجديدة اتفق
قورطيس مع عساكره على تنازلهم عن ما خصهم في الاموال التي جمعوها لحد الان من اجل
ارسالها الى الملك حتى انه يوصلها مع التقرير المعروض من اهل المستعمرة تتولد افكار
عالية في شانه ما قرروه وعينوا بورتو كاريرو ومونتيجو رؤسا مجلس نواب المستعمرة
من اجل حمل هذه الهدية وتقديم عرض التماسهم لملك قسطيله على شرط عدم نزولهم او
مرورهم جزيرة قوبة عند مرورهم من جهتها وفي اثناء اعداد سفينة من اجل سفرها وقعت
حادثة على حين غفلة نشا منها في المستعمرة فزع عمومي وذلك ان بعض العساكر والبحرية
الموجودين في اتحاد سري مع فلاسكيز حاكم قوبة رغبوا في قبضهم على احدى السفن وهروبهم
فيها الى قوبة من اجل اعطاء فلاسكيز حاكمها الاخبار بضبط المركب الموجود فيها الكنوز و
المبعوثين للتوجه الى اسبانيا وكانت هذه الحادثة في سرعة بينهم وفي الوقت الذي
استعدوا فيه كشف واحد منهم سرهم وخيانتهم فمن بعد ما تامل قورطيس في عواقب امره و
تدبيره اشتغاله على حيلة في تكسير سفنه حتى لا يكون عند العساكر امل في شي غير الموجود
امامهم فاثبت لاهل المستعمرة ان المراكب لا مدة طويلة على سطح البحر وصارت غير مواجهة
لعدم الاستعمال والاشتغال وان المادية تقص الموجودة فيها لا تنفع فيهم ما داموا فيها فاتفق راى
الجميع على شحط المراكب فوق البر واخراج منها الحديد وتكسيرها ورضي الجماعة تنفى
باغراضهم واختيارهم بحبسهم في ارض اهل اعداء مشحونة بامم قوية مجهولة لهم ورموا
كل واسطة في نجاة انفسهم وتركوا انفسهم لقوة شجاعتهم وما عندهم من الاحترازات واستعد

واستعد قورطيس ومحالفيه للسير الى مدينة مكسيكا الا انه قبل سيره امر عساكره بالاهجمة
على المعبد الاكبر في مدينة زمبوله وكسروا ما فيه من صور الالهة ووضعوا بدلا منها صورة
مصليب للمسيح وهيكل العذرا مريم امه فانذهل محالفي قورطيس من هذه البدعة القبيحة وفزعوا
من خفقه فخطف وجهه قورطيس هذه الحالة من دون سفك دما وشرع في سيره من مدينة
زمبوله في ١٦ اوغسطوس مع خمسمائة نفس من المشاة وخمسة عشر فارس خيال وستة
افواه نارية صغيرة وترك مع محافظين كافية في المستعمرة تحت قيادة شخص اسمه اسكالنت
ضابط له حزم ورأي وشجاعة وزود ملك زمبوله قورطيس بالزاد والزخاير وما يلزم
مع هنوده لاجل حمل الزاد والزخاير وجر المدافع وعرض عليه جملة من عساكره فانتخب منهم
قورطيس اربعمائة نفس وسار في طريقه الى نحو مدينة مكسيكا فما حصل له شيا فيما يعيقه
في سيره حتى وصل الى حدود مملكة طلاسكالة وكان اهل هذا الاقليم امة حربية وبينهم
وبين المكسيكيين عداوة كبيرة ومتحدين في محالفة قديمة مع ملك زمبوله وجاء قورطيس
كان قد بلغه اخبار وصفات هذه الامة فاورى لهم نفسه انه جاء لخلاصهم من جور منتظومه
وعسفه بهم واعتقد في نفسه انه بالنسبة لما هم عليه من عداوتهم للمكسيكيين ومحالفتهم القديمة
للزمبولا وبين يقابله الطلاسكالانيين مع الاجلال والاحترام لكن ثم ارسل اربعة من وجوه
زمبوله مطلوبه من الطلاسكالانيين باسمه واسم ملكهم عبور الاسبانيين من طريقهم الواقعة
في ارضهم الى مكسيكا فقبض اهل طلاسكالة على المبعوثين وذبحوهم وقربوهم قربانا لالهتهم
مثل العادة الجارية عندهم وجمعوا عساكرهم لملاقاة الغايرين عليهم
فتعرض قورطيس عليهم ان لا يخافوا ولا يعدوا ان يقع منه عليهم لو ساروا من ارضهم بالقوة
من اجل مقابلة الملك منتظومه وكان ما حصل منه من تكسيره هياكل الالهة في زمبوله سببا
في وقوع الفزع والخوف عند الطلاسكالانيين وبما انهم كانوا متمسكين بعقايد الخرافات مثل
باقي الامم في اسبانيا الجديدة وكانوا في قلق شديد من اخذ ثار الهتهم والقبض على الاسبانيين
العجرة وذبحهم قربانا لالهتهم واستقلوا بعدد الاسبانيين في اعينهم وما عادلوا قوتهم
مع قوة اعداهم المستجدين وما كان عندهم تصور التي كانت عليها الاسبانيين من شدة تاثير
اسلحتهم وانتظام حركتهم وفي ٣٠ اوغسطوس انتظر قورطيس عود المبعوثين عدة ايام
ولما لم يرد منهم من يخبر بخبر زحف هو بعساكره في داخل الاراضي الطلاسكالانية ووجد
عساكرها في الميدان مستعدة لصده فخفوا وهجموا عليه بسرعة وفي اول ملتقاهم معهم انجرح
بعض الاسبانيين وقتل اثنان من الخيول واستمر قورطيس معهم في حروب وكروب حتى هلك
منهم عالم كثير وحصروا خسارات جسيمة والتزموا على عقد الصلح واذعن الطلاسكالانيون
حقا عليهم وانهم عبيد ورعايا ملك قسطيله ووعدوا مع قورطيس من عونه في كافة اعماله
المستقبلة واخذ قورطيس جمهورية طلاسكالة تحت حمايته ووعدهم بمحافظة على انفسهم و
اموالهم واملاكهم من كل ضرر او غايلة تحل بهم ومن بعد انه قام في طلاسكالة عشرون
يوما لاجل راحة عساكره مما حصل لهم من التعب ومصاعب الحرب وزال من قلوبهم الخوف
وذكرهم بما كانوا عليه من اعتبارهم وثباتهم به في حروبهم وبين لهم على انه لا يوجد
الان قوة في امريقة تقاوم اسلحتهم وخص عن حالة مشروعاته في المستقبل وعن حالة
المملكة المكسيكية عزم على استمراره في الزحف نحو مدينة مكسيكا وانضم اليه نحوا من ستماية
نفس من الطلاسكالانيين وصار في قوة تماثل جيش منتظم وفي ١٢ اكتوبر وجهوا
سيرهم نحو شولولا وهي منتظومه بمقابلته الاسبانيين ووصلت الاخبار الى قورطيس
بان الامبراطور مستعد لمقابلته مقابلة ودية وكانت مدينة شولولا مدينة ضخمة وهي واقعة
بعيدة بمقدار ستة فراسخ فقط من طلاسكالة لكنها كانت في الاصل مستقلة بحكام نفسها
ثم خضعت من عهد قريب للمملكة المكسيكية وكانت معتبرة عند امة اسبانيا الجديدة انها محل
مقدس والمعبد الاكبر للالهة ويتوجه اليها الزوار من جهة كل جهة من الجهات القاصية و
الدانية من المملكة لاجل تقريب القربان لمعبدها الكبير من النوع البشري زيادة عما كانت
يقرب من القربان في نفس هياكل مدينة مكسيكا فراى منتظومه انه يدعو الاسبانيين
الى هذه المدينة ليسعى في هلاكهم وقطع دابرهم تحت حماية الالهة في تلك المدينة وكان اهل
طلاسكالة انذروا قورطيس من قبل سفره من بلادهم بلزوم التحسس دواما على اخبار اهل
مدينة شولولا فلما دخل في المدينة وقوبل فيها مع الاحتفال راى منها عدة اشيا حصل له منها
الريب والاشتباه ودخل اثنان من الطلاسكالانيين في المدينة في خفية وكان الطلاسكالانيون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1